الناقد الدكتور جهاد أيوب : الخطاب السياسي والفكري والفني بكل أنواعه: عاشوراء وإعادة تأهيل وتصحيح تاريخ ثورة الحسين

الجزء الأول

لم تكن عاشوراء حادثة دينية فقط، ومن يضعها في هذا القالب يرتكب فعل الغباء المتعمد، ولم تكن مجرد رجل يبحث عن ميراثه وزعامته ونصيبه من الحكم، ومن يفكر بذلك يكون جاحدا يكره الحقيقة ومن زمر الفاسدين، ولم تكن ايضاً مجرد صرخة لتصحيح دين محمد والسلام، ومن يؤمن بذلك كما يؤمن بنصف الحقيقة! عاشوراء بكل تفاصيلها، وبكل الصور التي تقدم فيها حتى المبالغ عنها ويرفضها العقل والمنطق هي تستحق الدراسة بتروٍ وتأني، دراسة لإستمرار الحقد المبطن على الحسين وثورته، ودراسة العشق المتطرف للحادثة وسيدها، والأهم دراسة أسباب الحدث، وحدود الحدث، وآفاق الحدث، والهدف من الحدث، وما بعد الحدث! رغم مرور هذه السنوات على حادثة الطّف أو كربلاء، ورغم ارتفاع صوت الحدث الجريمة ضاقت المعلومات الفكرية والعلمية، وانحصرت بالخبرية، والسيرة الأسطورية، والبكائيات، والخطابية دون الولوج بعمقها! ورغم تعدد وسائل الطرح، وكثافة السرد الكلامي والنصوص المكتوبة سجنت هذه الحادثة التي وجب أن تغيّر التاريخ الانساني والبشري والسياسي والديني والاجتماعي، سجنت في طائفة، واخذت هذه الطائفة بالإنقسام حول مفهومها مع الحفاظ على طقوسها! ورغم تعدد الطرح، ومناقشة الحالة ظلت قضية الحسين مجرد ذكرى نخوض فيها لأيام معدودة في السنة ومن ثم كلٌ يذهب إلى عالم مختلف، وقد نتباهى بأننا اشتركنا في جلسة فكرية مناسباتية مع شخصيات مسيحية وسنية متهمة ومهتمة، ومعتدلة، وعلمانية، وشيعية مشككة أو مؤمنة، ولكن ذلك ظل ضمن النخب في ساعة من التغني والتعظيم والإحترام، ومن بعدها إعجاب بالكلمات وتناول الطعام، والخروج إلى ندوة وقضية اخرى! بهدوء، وبعيداً عن التطرف الفهمي، والجهل السياسي، والعنصرية الدينية لا بد أن نعترف أن ما قام به الإمام الحسين حتى البرهة لم يُقرأ قراءة صحيحة، ولم تصل رسالته كقيمة انسانية وسياسية معاصرة ومتحركة خارج جمود التاريخ بل

تحرك المستقبل، لم تصل بشكل صحيح، ولم تجد طريقها إلى الإنتشار الأوسع والأشمل والأهم، والأسباب كثيرة وواضحة منها أنّ من يقوم على إبراز عاشوراء يتعمد ان تكون موسمية ضمن طقوس محددة ولطائفة خاصة، وآخر يعتبرها مناسبة للشحن الطائفي لإستغلالها في صناديق الانتخابات وتكريس الزعامات المتطرفة، أو تجاهلها من قبل طوائف اسلامية لا تؤمن بحقيقة وجوهر الإسلام بقدر إيمانها بصورة شكلية فارغة من الإسلام تزيد عدد المسلمين دون صوت او نفع مؤثر في الوجود وتطور الحياة، وهؤلاء يسعدون إن ظل المسلم متخلفاً لا يؤمن بالعصر والمستقبل، ويمتطي الجمل بعيداً عن السيارة، ويخاف الكاميرا وشاشة التلفزيون والعلم. كما يوجد فريق آخر يتعامل مع عاشوراء كمناسبة حزبية يستغل فيها المفاهيم الدينية لجذب الشباب الواعد وتحديداً الذين تتجاوز أعمارهم ما بين 14 وال 19سنة، هؤلاء يشكلون بذرة لمستقبل استمرارية الفكر الحزبي المذهبي، وشد العصب الطائفي كلما لاحت بوادر الفرج الفكري التوحيدي! في الفن المعاصر ولا ننسى ان المبالغات في الكتب، والخطابية المباشرة في الشعر والبرامج الفنية الذهنية أضرّت بها، أما مسرحياً وتلفزيونياً وسينمائياً بقيت ضمن لعبة التحريم والتخويف، وجهل أبعادها التاريخية. لا بد من أن نفهم أن الفن يؤثر في إيصالها ايجاباً أو سلباً، وكلما تعمدنا تشويشها وتسييسها، وعدم وضوحها داخل الصورة الفنية يزداد هجرها لنا. كما وجب أن لا نفرض تعقيدها بمحرمات ظهور الشخصيات، وتغييب حقائق زمنية وسياسية غاية بالأهمية خوفاً من مشاعر هذا وذاك، أو لتلميع حركة حزبية أو شخصية سياسية مرحلية. إذا فهمنا تطور الزمن، وما يؤثر بالمجتمع مع تقدم العلم وفنونه خاصة إذا رغبنا بطرح قضايا مفصلية قد نصل إلى بر أمان التأثير في الطرح والرسالة.

حينما نتناول أي فكرة قضية حكاية تعنى بمصير أمة ومستقبلها علينا أن ننسلخ من عقدنا الذاتية، وننفتح على الحقيقة المؤجّلة، نعم الحقيقة تؤجّل حتى تجد دورها وفرصتها، ولكن في تحديد مصير قضية الدين الواضح في كتابه، وشرح قيمته الإنسانية والفلسفية، وفي تحديد مصير أمة لا بد من أن نخرج الحقيقة من سجنها، ونناقشها لتتضح أمامنا مدى صلاحيتها ومواكبتها للعصر، وبذلك لا تُربك قضية عاشوراء مع الوجود، ولا تزيد من الإنقسام. كما لا بد من تنظيفها من الشوائب، والمبالغات، والإسرائيليات، وإبراز أسبابها السياسية والاقتصادية

والبيئية بعيداً عن سياسة المصالح والمكاسب المختلفة، وتبرئتها من الحقد الدفين الذي أضرّ بالدين، وعدم جعل تداولها في المناسبات فقط! أقصد، حينما نجد الفرصة المنسجمة مع الواقع والعصر نسارع بإبراز الحقيقة وبهدوء، ليس من أجل التاريخ الذي ذهب مع زمانه وبقيى منه صور كتبها المنتصر، بل من أجل الإفادة من التاريخ دون أن نسجن به، ونحرره إلى المنطق، وحرية المناقشة فيه، وإستيعاب ما كان، وإبراز الواقع القديم بأبعاده السلبية والإيجابية دون قداسة، والإستفادة من تجربة الماضي، والتعلم منه! نعم، وبكل وضوح علينا الإعتراف بأن المال والمنتصر هما من يكتب التاريخ، وبالطريقة التي تناسبهما، وفي كل العصور كتبا التاريخ كما يشتهيا وزورا به، والغيا ما أرادا، وامحيا وشوها الحقائق، وأبرزا حقائقهما التي تجعلهما أبطالا لمرحة من التاريخ الآخر حتى يأتي من ينتصر وبيده سلطة المال والسلاح ويلغي ويغير ويقوم بما قام سلفه العدو المعتدي. من أجل استيعاب ما حدث، والتعلم من حركة التاريخ وجب علينا قراءة كل جوانب الفكر القضية الحدث بعيدا عن المعتقد، المعتقد الحزبي أو المعتقد الديني، أو المعتقد الطائفي، وكلما قرأنا الحقيقة داخل تلك المعتقدات ضاقت مساحة البحث، وعجزنا عن الحركة بحرية، واخذت الحقيقة بالاختفاء لتبرز مكانها حقيقة جديدة بذات الصور والرموز ولكنها بعيدة عن قيمتها العميقة حدثاً وفعلاً وفكراً ومنهجاً ومقاومة وثورة! الجريمة من قام بفعل عاشوراء – القاتل والمقتول، الغادر والمغدور، السارق والمسروق، الفاعل والمفعول، الحاكم ومن يطلب منه ان يطبق الحكم عليه... لم تكن فعلتهم صدفة، أو مجرد حادثة عابرة، كانوا يعلمون ماذا يفعلون! هذه غاية أساسية وحساسة في قراءة حادثة عاشوراء الحسين وأهل بيته وأصحابه، ونافذة مهمة لإعادة تأهيل وتصحيح تاريخ الإمام الحسين ليس عند قرّاء التاريخ والمستفيدين منه، ومغيبي فعل الحسين، بل عند محبي تاريخ الحسين، ومستغليه أيضاً! نحتاج اليوم إلى إعادة تأهيل وتصحيح تاريخ وسيرة وثورة الإمام الحسين من كل الشوائب التي تراكمت عليها، وشكلت مع تطور الخطاب الإعلامي والديني في الأزمان التاريخية والسياسية قضية تكبر وتشتعل تحت الجمر، وتُستغل مع كل نفحات المشاريع السياسية في المنطقة، ولا شك يتحمل عدم تطور فهمنا لها النظام الإسلامي بكل طوائفه ومراكز القرار فيه، والبعض هجرها وخاف منها جراء التعصب في حب الحسين وكرهه وتزوير تاريخه، والأخطر بعض الطقوس

والطريقة المتبعة في إبراز ما حدث في كربلاء، وتعمّد تغييب البعد السياسي التحرري عن فعل ثورة الإمام الحسين، وبصراحة، الجميع مشارك في هذه الجريمة! ضوابط الفهم الوجودي الحسيني الذي وضع الضوابط في كيفية الحكم، وكيفية تقديم الشهادة من اجل قضية عادلة، وكيفية زرع فكرة مراقبة الدولة المعاصرة، والتعامل معها بوضوح لم تنته ثورته بعد، وليس مبالغاً إذا قلنا أن عاشوراء ثورة لم تنته بعد ما دام كل حرّ يبحث عن حريته في مفهوم المقاومة والشهادة والإصلاح، وليس في مفهوم الزعامة، والكسب المادي والسياسي على حساب الحقيقة والحق الإنساني. شكلت حركة الحسين بارقة أمل في الفهم الوجودي للتوازن بين الإيمان بالله وكتابه وحب الحياة، ولم يفصل الحسين بينهما لكنه فصل في كيف ان تعيش بينهما إنفصاماً وجودياً، لذلك ثورة الحسين الوحيدة التي انتصرت، وحققت اهدافها في الفكر السياسي، وفي الوعي الوجودي، وفي الفهم الديني بعد أن اغتيل واستشهد قائدها! وقد يبرز من يقول، وينتقد الحالة الإيمانية الحسينية، وفعل الموت دون ملذات الدنيا، ويسأل ماذا تحقق من سكب الدماء ما دام الله هو الذي أمر وفعل استشهاد الحسين؟ السؤال حق، وواجب يقيني من أجل معرفة القيمة الأشمل والأوسع لثورة الحسين، هذا السؤال اليقيني غاية في فهم الحدث، وأسباب الفعل دينياً وليس سياسياً فقط، وربما يندرج في سياسة الله الذي أنزل الأنبياء والرسل كل في مرحلته ومع معجزاته وكتبه، وهو القادر أي الله على فعل ما يشاء، وبضربة القرار الواحد! لم يأمر الله بفعل عطش، تعذيب، سبي، قتل، ذبح، استشهاد الحسين ومن معه، بل أراد ذلك من أجل حكمته ورسالته وموضوعيته. حكمته في أن الحياة حق وتستحق ان نضحي لاجلها، ورسالته في أن الإيمان بالعدل وبالله دون شركاء على الارض، ودون ظلام وطغاة وديكتاتوريات ومستغلين لإسمه وله لا يمثلون رسالة الرحمن ولا عدالته، وموضوعيته في أن تلك الثورة الحسينية هي ثورة تصحيحية مادية وفكرية ومعنوية شاملة بعد ثورة جده الإرشادية المعنوية في الطرح الإسلامي! وحتى بعد إستشهاد الحسين عليه السلام برز أن عاشوراء مدرسة البحث عن الحقيقة الإنسانية، والحقيقة الوجدانية، وحقيقة العدل والإيمان والعدالة، لذلك علينا ان نقرأ عاشوراء مع تطور العصور والأزمنة، وهي اليوم تشكل مرحلة سياسية متطورة المعاني لأن الحسين أسس لمبدأ المحاسبة والنقد وتوجيه الأسئلة للحكم والحاكم عند العرب والمسلمين. قبل

الحسين لم يكن هذا التطور في المفهوم السياسي حاضراً، ولم يصبح منهجاً إلا بعد ثورة الحسين، ولا عجب إن بقيت العرب والمسلمين حتى البرهة تبع لحاكم فاسد وظالم بحجة ولي الأمر، أو السير وراء قائد واحد حتى القداسة، ولا مجال لخلق آخر، للأسف هذه حقائق مرة تلازمنا، ولا نستغرب سعادة الشارع العربي والإسلامي بكونه من الغنم في السياسة والإجتهاد الديني، وفي الفكر الإسلامي والسياسي، لا نستغرب ذلك ما داموا يتعمدون وضع ثورة الإمام الحسين في الخطاب الطائفي، وفي سلة دينية عنصرية ضيقة محاصرة بالجهل والحقد! الحقد القائم نعم، لا يزال الحقد على الحسين قائما، ولا يزال جهل غالبية من يحب الحسين عن ما فعله الحسين حاضراً، وقد ينظرون على أن عاشوراء هزيمة، وربما انتكاسة، وفي الحقيقة عاشوراء لا تنتمي إلى كل أنواع الهزائم والإنتكاسات بل هي إنتصارات على أكثر من صعيد سياسي وفكري وديني. عاشوراء منهجية حياة، وإنتصارات لمدارس الوفاء للقضية ورسالة الخالق، وتضحية بالروح والمال والسلطة من أجل مبدأ الحق والعدل والعدالة، والأهم من كل ذلك أن عاشوراء الحسين كانت لتصحيح الخلل في دين محمد حينما استولى تجار المال، ورجال الاقتصاد، وعشاق السلطة على زمام القرار بعد موت النبي بحجة السيطرة على الحكم، والحكم بعد رسالة الطهر والحق وشخصية عبقرية كشخصية النبي محمد تتطلب الإستغلال الديني، وتسيير الاقتصاد، وزرع الفتن الدينية، وإنشاء المذاهب والطوائف من أجل تخدير الناس، والتعصب والتحكم بأمور السلطة. من هنا نستطيع القول أن عاشوراء ثورة لم تنته بعد، وأن الإمام الحسين شخصية مقاومة بالدرجة الأولى، وإصلاحية، وتنويرية، وثورية، ويؤمن بإنتفاضة الضعيف المظلوم صاحب الحق على القوي المتجبر المغتصب لحقه، والأهم من كل ذلك أن الحسين لم يكن يؤمن بالنق والثرثرة والخمول، ولم ينتظر من ينوب عنه كي ينال مطالبه، ولم يؤمن بالصبر المنقطع ما دام المجرم يرتفع شأناً ويزداد عنجهية وقوة، الحسين عليه السلام ترك مجد تاريخ جده ووالده وعمامته جانباً وقرر النزول إلى عمق فكر الدين الذي يحرر الإنسان من القيود. لم ينم الحسين على مجد الماضي، ولم يؤمن يوماً بأن سيرة أسلافه قد تعيد حقه الذي سلب، الحسين تخلى عن كل أمجاد الماضي ونزل إلى أرض المعركة بإرادته، وبقرار درسه وقرر تنفيذه، وبإيمان مطلق، وبمعرفة قوية وواسعة لمفهوم الجهاد في سبيل الله والحق، وغاية

متزنة في أن يكون مقاوماً إصلاحياً في ظل إغراءات دنياوية، ومناصب سياسية، وثروة مالية ضخمة بمجرد الموافقة على ولاية من ليس أهلا لحكم المسلمين! الاقتصاد وقد يعتبر البعض أن الحسين لو ارتضى بما عرض عليه من ثروة لكان الوضع التجاري والاقتصادي في تلك المرحلة أكبر وأكثر انتشاراً، ولسعت العرب والمسلمين إلى مرحلة زمنية هادئة من الإستقرار السياسي والاقتصادي والاجتماعي! ضيّق الأفق من حقه أن يؤمن بذلك، والباحث الذكي من حقه أن يطرح ذلك من خلال اسئلة يبنى عليها الفهم المعاصر لطبيعة قرار الحسين، وهذا الفهم يوصلنا إلى حقائق تاريخية قد تكون مذهلة عند أهل الإختصاص، أما طرحها لمجرد النعرات والثرثرات التي توصل للتصادم غاية بالخطورة. عاشوراء...هذه الوقفة بكل أبعادها من الإمام الحسين تتطلب دراسة سياسية وفقهية معمقة بالبعد الإنساني والاجتماعي وحتى الاقتصادي، وتقديمها على مذبح كل عصر لكونها ثورة متحركة تواكب العصر رغم اختلاف الزمان والمكان هو الخوف منها ومن الإستفادة من الفهم العميق لسيرتها. عاشوراء تخاطب المسلم وغير المسلم، وتقدم الحلول السياسية والوطنية الفردية والاجتماعية... نحن مجرد اناس نطرح اسئلة موجبة عن عدم البحث الجدي في حركة الإمام الحسين كفكر أممي، وثورة رائدة في العمق الإنساني، وإصلاح سياسي برز معه مراقبة النظام والزعيم، ومحاسبته خارج دائرة الإستغلال الطائفي، والبكائيات المتعمدة، والسواد بحزن فلكلوري مع أن الحزن على الحسين من أرقى المشاعر، وأعمقها في إستيعاب وجع الآخر، والتأثر بحال ألامه. عاشوراء الحسين تجربة إنسانية حضارية صافية النوايا، صادقة النفس، تعانق الروح السمحاء، أو الروح المتعبة بهموم الأيام والرزق لتذهب مع الفكر بعمق التجربة التاريخية، راسمة الحضور المعاصر بكل تفاصيله. عاشوراء كنزنا الإنساني، ولا خلافات جوهرية حولها، عاشوراء تجربتنا السياسية المعمقة في صناعة القرار والعمل به. عاشوراء مقاومة ضد العدو، وضد اغراءات الذات. عاشوراء تضحية بالروح كي يعيش الآخر. عاشوراء نافذة تاريخية تطل على العالم الحاضر والمستقبل لتعلم دروس الحياة الكريمة بعيداً عن التكلف وكذبة الإيمان... وما أن يبدأ الامتحان يكرم المنظر أو يهان!

الجزء الثاني

ومن وجهة نظر فكرية تحليلية أخرى أطرح أيضاً المقاربة التالية:

عاشوراء هدف المخابرات البريطانية والإستخفاف المتأسلم والطقوس الطائفية!

هذا هو الواقع وهذه هي الغرف السوداء وهذا هو الحل؟

من يعتقد أن ذكرى عاشوراء مجرد حالة طقوسية إيمانية عابرة فهو واهم!

ومن يتصور أن هذه الكينونة الواقعية لواقعة "الطف" مجرد بعض أيام تستمر بسرعة دون أن تترك أثارها على محيطها فهو بالتأكيد يعيش الهبل الفكري والاجتماعي!

ومن يقنع حاله بأن مقتل الإمام الحسين مجرد لحظات تاريخية عابرة خارج كتاب الحياة، والعبر، والدروس فهو من الأغبياء، لأن هذه القيمة الوجودية أنقذت إسلام محمد من الإندثار، وهي ثورة تصحيحية على سلطة الاقتصاد والمال والقوة في حينه، وترسم مع كل محطة قوة الضعيف أمام الجبروت، صوت الحق أمام صهوة الباطل، ونبع الحقيقة أمام تزويرها!

كربلاء الحسين هي الكتاب الذي كُتب بدم الأطهار، وذكراها ليست لنعيش الثأر أبداً، بل من أجل توازن وجودنا في بلادنا، ودیننا، ومجتمعنا، وفي العمل والوظيفة والحزب والدولة، والحرب، والسلام!

بإختصار كل ما لدينا من عنفوان سببه عاشوراء، وهذه الأيام العشرة هي بقوتها سنوات من التحدي، وتعديل الذات، ومراجعة الإيمان بالله وبالوجود وبالتصرف. يعني أيام عاشوراء المعلنة هي بصمة في تطبيق عمق حقيقة ممارسة التدين خارج نطاق المظاهر، وهي تصرف غير معلن بحياتك اليومية، ولا يستطيع المؤمن بالإسلام أن ينسلخ عن عمق فلسفة وثورة ومفهوم وسياسة ثورة الحسين لا من الناحية الدينية العقائدية، ولا من الناحية الحياتية، وهي في شرارات كل ثورة على الأرض حتى لو لم تكن دينية طائفية إسلامية، أي أن عاشوراء لاهوت الثورات فلسفياً وفكرياً وتصرفياً!

وعاشوراء خارج الثورة بكل مفاهيمها تروي النفس، وتلجم المصيبة، وتلوي سطوة الغرور إن وقع، ولو إقترب المقتنع بها إيمانياً وليس سلطاوياً ومفاخرة عنجهية تنظيرية شوفانية مذهبية، لو إقترب من مفاهيمها وحكايتها سيحمي روحه، وسيجد الإنسان فيه بعد أن يُهذب نفسه الجامحة من أسطورة من لحم ودم ودين وحقيقة!

نحن هنا لا نجامل، أو نتحدث عن تعصب جاهل، أو نبرر الكلام للإشارة إلى الفهم أو الجهل بباطن الحدث لمجرد لفت النظر!

قد يستخف بعض المتأسلمين المتطفلين المتعصبين الطائفيين بالواقعة من باب التعنُّت، والجهل بأصول ثورة الدين، ويعتقدون أن دينهم صلاة ومظاهر، مع أن الدين في هكذا حالة هو فلكلور وعادات قريبة إلى الجاهلية وما قبل الإسلام!

وقد يتعصب من سجن الواقعة في خانة طائفية ضيقة، وتعنيه لوحده، فيستغلها من أجل مكاسب سياسية وحزبية ومالية، ولكنه يشوه قدسية العبرة، وفهم الغاية من حدوثها مع أطهر الناس، وأشرف المخلوقات، مع أهل بيت النبوة، وكان بإستطاعة الله عدم وقوعها، والله لا يفعل صدفة، بل لكل ما يقوم به من مصيبة أو فرحة عبر!

لا نجامل إذا قلنا إن عاشوراء مدرسة الوجود الإنساني، ولكننا ننافق إذا لم نعترف بدخول شوائب صهيونية إستعمارية على بعض طقوسها وظواهر إستعمالها، لا بل معيب أن لا نقوم بمراجعة ميدانية لكيفية تصرفنا مع الواقعة في الجسم الإسلامي والطائفي!

ورغم هذه السنوات الطوال علينا الإعتراف أننا وقعنا بمبالغات الممارسة والتطرف والتعصب مع إن الواقعة واضحة بكل فصولها، والحالة السياسية والاجتماعية ناصعة الحضور، والسيرة مشعة كالشمس، ولكن إستغلالها كي تصبح وسيلة جاذبة وتحريضية هو هدف مشترك للعدو ولمن يدّعي حبّه لها!

اليوم، وفي مثل هذه الظروف الجامحة إلى القحط، وإلى تشويه كل ما هو جامع وذات فكر وعمق ملوث بالشوائب لا بد أن تصيب في قلب الإسلام، ولا بد أن نشير إلى حقائق سياسية نعانيها، وصنعت كي نعاني منها في طقوسنا وإيماننا، وتحديداً في فهم قيمة ذكرى عاشوراء، وقيمة تبني الرسالة الإسلامية، ولم يعد مهماً أن نُذَكر بصناعة الإسلام السياسي الموجة أميركياً كما حال المسيحية ما بعد إتفاقية "كامب ديفيد"، وداعش، والنصرة، والتعصب الديني العنصري المذهبي، ومن مّول ودعم وفتح الأبواب لأنتشار هذا الوباء، فظهورهم كان جلياً في الإعلام الغربي، وإجرامهم كان صورة سهلة الوصول، والهدف إبقاء المشروع الصهيوني حدثاً حضارياً،

وإبعاد الفكر الغربي ومواطنيه عن الإسلام، وأن يعيش الإسلام غربة في مجتمعه، وهذا ما حصل، وما كان، وبتفوق!

ومع الأيام، وبعد ثورة الإمام الخميني في إيران حيث شكلت بعداً استراتيجياً ايجابياً لصالح رسالة محمد في العالم، وتحديداً في الغرب تنبه هذا الغرب إلى إستراتيجية حركة الشعب الإيراني، وإدارة زعيمها الخميني، وأكثر ما لفت العمق الثوروي المحرك لغضب ولجم وإستيعاب وتنظيم الشارع ليتبين أن عاشوراء الحسين هي المدماك المحرّك، وكتاب الإسلام هو العمق الإستراتيجي لفكر التحرك!

أول من درس ظاهرة الإمام الخميني كانت المخابرات البريطانية، هذه التي عملت وتعمل على تعميق أي فجوة في مجتمعات الشرق، وتحديداً بلاد العرب والمسلمين، والكل يتذكر كيف أرسلت أميركا ضباطها إلى بريطانيا قبل غزو واحتلال العراق ليتعلموا طبيعة ذاك المجتمع، وقراءة ظواهر نقاط الضعف والخلل والقوة، وما يؤثر في أن يعيش التعصب القاتل، وكانت النتيجة اللعب على الوتر الديني والطائفي والمذهبي، والتقاليد العشائرية والقبلية...وهذا ما كان!

عمّقت المخابرات البريطانية الشرخ الديني، ووجدت أن المسلمين خاصة في لعبة التجارة والاقتصاد ألغوا مرحلة النبي، وعاشوا على ما بعد موت النبي بمئتين سنة عبر أحاديث لُفقت من قبل علماء حسموا أحاديثهم النبوية دون أن يعيشوا مع النبوة أو تنسجم مع القرآن، وأيضاً وقفت دراسات ولادة المذاهب الإسلامية عند بعض المذاهب التي انشغلت على تثبيت نظرياتها دون السماح بوجود نظريات مشابهة تنتقدها، فأغرقت نفسها بتضخيم نفسها(لهذا دراسة مستقلة مشبعة خارج هذا السياق)!

أخذت المخابرات البريطانية تدرس ظاهرة لمّ شمل المسلمين الشيعة حول عقيدة فكر أهل البيت، ووجدت أن عاشوراء الحسين هي التي تُهذب، وتُثقف وتُعمق فكر الشاب المسلم، وتحمسها لذلك حركة عاشوراء جبل عامل ضد الوجود الصهيوني، وتداخل شباب المناضلين الشيعة في أحزاب علمانية لبنانية بكثافة، ليلتفوا فجأة أمام ثورة الخميني، ومن ثم ينشغلون بجدية في مقاومة الإحتلال الإسرائيلي، وكانت مقاومة عاشوراء النبطية حيث أخذ الضابط الصهيوني بالبحث عن حيدر والعباس والحسين!

تراكمت الأحداث، وتبين للمخابرات البريطانية المنشغلة بالإسلام وتقسيمه، ودراسة ظاهرة المهدي المنتظر وعاشوراء الحسين، تبين لها أن من ضمن تشويه هذه الأسس هو ما يبقي الإستعمار الغربي في بلادنا، ساعدها في تحقيق الهدف التعصب النائم المتحرك الموجود في مجتمعاتنا، وعدم تصدي المثقف الديني وبعض العلماء لذلك، وخيانات غالبية حكام العرب والمسلمين!

عملت أميركا في تثبيت وجودها وحل المشاكل على عضلاتها والهوبرة على المسلمين، وتسويق كذبة العيش المخملي الأميركي!

انشغلت إسرائيل بإحتلال العرب بسهولة الشهوة، والعمل على الوتر الطائفي والشهوة الجنسية والحياتية، وتحديداً الأكل والحرية المستوردة، وديمقراطية الكذبة رغم أننا نعاني من ديكتاتورية وجودها في يومياتنا وإعلامنا، وثقافتنا... وهذا نحن نتحمله، وليس التصهين!

بريطانيا درست الواقع العربي والإسلامي بعد أن غزت المسيحية حتى التشويه والسيطرة شرقاً وغرباً، لتصل إلى ما وصلت اليه مخابراتها من فهم عميق لديانات الشرق ومجتمعاته خاصة الإسلام بما حمل، وبالتحديد عاشوراء الحسين لتتجه الآن عبر غرف سوداء متخصصة لضرب هذا المعتقد والحدث من الداخل!

عاشوراء مع دخول الإسرائيليات إلى طقوسها عند البعض أصبحت ذات ظواهر مخيفة ومخجلة ومقززة، لذلك نشير أو نوضح ما نتلمسه عن علم ومعرفة ومتابعة!

دخلت السوسة المخابراتية التي ذكرنا بتعصب وتكفير الآخر إلى المعاهد الدينية، وإلى الحوزات الدينية، وإلى المساجد والمراكز الاجتماعية، والكتب المدفوعة المدسوسة والمدعومة والمنمقة حيث تشكك بكل العقائد الإسلامية بعد أن وضعنا نحن قيود عدم مناقشتها في زجاجات الفراغ المتزمت، والفضائيات الشيعية والسنية تحديداً بكثرة، والناطقة من لندن بلسان الشتيمة والتكفير، يضاف إلى كل هذه سموم المال الشيطاني سهل المنال!

دور هذه المفاتيح المدعومة من المخابرات البريطانية، بعد دراسة، أن تشعل الفتنة داخل المجتمع الإسلامي ونجحت، واليوم دورها زرع الفتنة في الفكر الشيعي، وفي مفهوم عاشوراء من خلال إدخال عادات وتصرفات في الشكل، حركة تصوفية إيمانية عاشورائية جامحة، وفي

العمق زرع ظواهر متخلفة جامحة إلى التطرف، وقد إنطلقت من باكستان والهند وصولاً إلى العراق، وقد بدأت ملامحها في مسيرات لبنان وبعض القرى الشيعية بخجل!منها :

– العمل على إستمرارية التطبير، وتقديم دلائل على إنها من عمق الإسلام، وتشفي المريض، وعدم التطبير معصية، والكل يعلم إشمئزاز النظر من أشكال التطبير!

–إعطاء صفة أشكال الحيوانات على أهل البيت، ورسم الإمام علي على أنه الأسد، والعباس الفهد وما إلى ذلك من تشبيه حيواني لأهل البيت لا يتقبله العقل!

–العمل على تسويق بدعة جديدة تكمن في تطيين الجسد " التطيين بالوحول لأجل الحسين"، وتكفير من يعتبرها خرافة، وقد انتشرت بجنون في باكستان والهند!

–الزحف، وربط عنق عاشق الحسين كالحيوانات إلى مقامات أهل البيت خلال زيارتها!

–السير على النار، والزجاج، والجمر!!!...

–تكفير الآخر، والإستخفاف به لمجرد رفضه تلك الظواهر!

–التمسكن، والتظلم!

–وفرة المال، والإكثار من ولائم الطعام، وهذه الأخيرة بدأت في الظهور في بعض قرى الجنوب اللبناني مؤخراً!

–التعامل مع الإسلام كفلكلور، ولا محرمات في دخول أي مهنة ووظيفة.

–التساهل مع كل ما يتناقض مع الإسلام فكرياً، والتعصب في موضوع عاشوراء، وتطبيق ظواهر عاشورائية متخلفة نافرة!

هذه الظواهر المتخلفة تتعمق في ظهورها في العديد من الدول التي تعمل على ذكر الإمام الحسين، وعاشوراء، وقد وصلت إلى العراق وبعض الدول العربية كممارسة إيمانية، ومنذ عامين أخذت بالظهور في لبنان بخجل على أمل ان تنتشر وتحديداً في منطقة بيروت، حيث الوجود السني، وذلك لتعميق التطرف والصراع المذهبي بعد أن يتم رفض وإنتقاد هذه الظاهرة سنياً في العاصمة، وأي مشكل في العاصمة يكبر وينتشر، وهذا هو المقصود من ظهورها في بيروت!

لا بد من محاربة هذه الخرافات السياسية المتعمّدة والمقحّمة!!!

المطلوب من المثقف المسلم ما يلي:

أ- أن ينفتح على هذه الظواهر المشوهة بقراءة متأنية ليعرف ضررها، ويخبر الناس بخطورتها، لا أن يتعالى ويتجاهلها بحجة أنه مثقف ويفهم، مع العلم ليس كل من يذهب إلى المشاركة في مجالس عاشوراء ذات الفهم والثقافة!

ب- أن يلتفت عالم الدين، وخطباء المساجد في دروسهم وموعضاتهم، والإعلام الديني إلى هذه الظواهر، ومحاربتها بحكمة وحنكة وتبسط!

ث- العمل على أن عاشوراء ليست للبكاء، أو للإلغاء الفكري والمعنوي والذاتي، وللثأر بل هي قيمة وجودية.

ث- جمع الناس أساسي، ولكن دون زرع الفتن والتصرفات الهمجية، والغاية من الجمع حضاري يخدم خط الحسين.

ج- الحوار، والتحابي، وتبادل السؤال، والتواصل الاجتماعي من أساسيات المجالس العاشورائية، ومن أهداف جمع الناس.

ح- العمل في القرى والمناطق المُناطة بالمجلس على توسيع دائرة المشاركة مع ضبط الدائرة، والتنظيم الحاسم مع إنفتاح على من هم من خارج الدائرة الحزبية، وفي حال مشاركة الناس بمسؤولية لا يُسمح للمتطفلين بالعبث، وتنظيم الحركة والتحرك أكثر.

خ- عاشوراء اليوم أكثر مسؤولية في فهم الهدف الإنساني والاجتماعي والسياسي، والحفاظ على التقليد لا ينفي البناء الصحيح حتى لا نخسر الروح والعمق فيها.

د- علينا أن نفهم قولاً وفعلاً أن كل ما لدينا من حركة ضد الظلم، والوقوف بجانب الحق، والنشاط الشبابي المندفع ينبع من عاشوراء...

عاشوراء العمق في المدرسة، في التربية، في الجامعة، في المعمل، في الشركة، في الوظيفة، في التبادل الاجتماعي، في الحزب، وفي الدولة...

وليس ضرورياً أن نكون شيعة أو سنة أو مسلمين حتى نطبق هذا، بل بمجرد أن نكون إناساً ملتزمين خارج التعنت والتعصب والتطرف نصل إلى حقيقة عاشوراء دون تكلف، لكون عاشوراء العمق الثوري للإسلام والإنسان أينما وجد وبالفطرة.